

ذاكرة القرن العشرين

٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦

عدوانان على المجر ومصر

■ لو تصفحنا صحف الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦ فوجئنا بأن تلك الصحف ترسم صدى العديد من الأحداث المتشابكة والمتصاعدة، التي جعلت تلك الفترة من الزمن تبدو وكأنها واحدة من أخطر الفترات بالنسبة إلى علاقات الشرق والغرب. ولكن سنفاجأ، كذلك، بأنه في الوقت الذي ركزت فيه الصحف الأوروبية الغربية على جانب من تلك الأحداث، تعادت في رسم صورة مزيفة تماماً لجانب آخر منها.

فالحقيقة أن يومي ٤ و٥ تشرين الثاني (نوفمبر) شهدا على التوالي نوعين من التدخل المسلح تقوم به قوى عظمى في منطقتين من الـعالم: اليوم الرابع من ذلك الشهر كان يوم دخول المدرعات السوفياتية (الف مدرعة) إلى بودابست لقمع ثورة الشعب المجري، مختبئة في ذلك خلف طلب تقدمت به حكومة «ظل» شكلها جانوس كادار لتلك الغاية، وخلف الزعم بأن الثورة إنما قامت بتحريض من المخابرات الأميركية (في الصورة جماهير بودابست تحرق صور ستالين، قبل إرغام القوات السوفياتية لها على السكوت والتراجع).

هذا التدخل شغل الصفحات الأولى من الصحف الغربية، رغم أنه كان ينضوي، بالنسبة إلى السوفيات، ضمن إطار المعاهدات المشتركة وضرورة التعاون بين «الدول الشقيقة» ضد كل تخريب وتحمل اجنبي. هذا بالنسبة إلى اليوم الرابع من ذلك الشهر. أما بالنسبة إلى اليوم الخامس منه فالامر يختلف تماماً، ويتبدى أخطر بكثير، حتى أن كانت الصحافة

الغربية قد فضلت تناوله، إما باستخفاف أو بشكل تبريري.

الذي حدث في ذلك اليوم أن فرنسا وبريطانيا، بعد أن كانت قد دفعتا إسرائيل لمهاجمة منطقة قناة السويس في مصر وقصف بورسعيد والاسماعيلية والسويس، اعتباراً من يوم ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) من ذلك العام، تبين لهما أن إسرائيل لن تكفي وحدها للقيام بالمهمة المزدوجة (الرد على تأميم عبدالناصر لقناة السويس، ومعاقبته بسبب دعمه للثورة الجزائرية وللفدائيين الفلسطينيين في غزة). ومن هنا قررنا أن الأوان قد آن لكي تتدخل في الحرب بنفسهما. وهكذا قامت القوات البريطانية والفرنسية المحمولة جواً بالنزول في بورسعيد وبور

فؤاد. وكان عدد القوات المشتركة يومذاك سبعة آلاف جندي مهمتهم أن يقيموا رأس جسر، تتحرك القوات الأخرى انطلاقاً منه لاحتلال منطقة قناة السويس بكاملها. السوفيات الذين كانوا مناصرين لمصر في ذلك الحين لم يتمكنوا من الصمت إزاء هذا العدوان السافر، رغم انشغالهم في المجر.

أو ربما بسبب ذلك، حيث يرى بعض المعلقين أن العدوان الثلاثي وفر للسوفيات فرصة طيبة لفرض حضورهم والتعويض عما لحق بهم من سمعة سيئة من جراء قمعهم القاسي للشعب المجري. فهنا، في منطقة الشرق الأوسط يمكنهم أن يقفوا إلى جانب شعب مظلوم ومكافح ضد قوى الغرب المتسلطة.

وهكذا كان. إذ في اليوم نفسه، أي يوم ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) اتصل رئيس الدولة السوفياتية بولغانين بالرئيس الأميركي أيزنهاور داعياً إياه للقيام بتحريك مشترك ضد العدوان الفرنسي - البريطاني. لكن أيزنهاور رفض القيام بأي عمل مشترك مع السوفيات في ذلك المجال، مشيراً إلى التدخل السوفياتي في المجر متسائلاً كيف يمكن لموسكو أن تقف ضد تدخل الحلفاء في الشرق الأوسط وهي تتدخل في بودابست.

عند ذلك لم يكن من بولغانين إلا أن هدد الحلفاء بالقيام بتدخل سوفياتي عسكري في الشرق الأوسط غايته إعادة الأمور إلى سابق عهدها. والمدهش في الأمر أن واشنطن أخذت ذلك الانذار السوفياتي على محمل الجد، في الوقت الذي كان فيه الرئيس جمال عبدالناصر يثير حماسة جنوده